الأبحاث والدراسات
132

العمران في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية

(دراسة تاريخية حضارية) (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب : بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر، لغيثان بن جريس (جدة : دار العويفي ، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢م). ص ص ٣٣ – ٧٦ .

المبحث الثاني :

العمران في إقليم عسير

خلال القرون المتأخرة الماضية

[دراسة تاريخية حضارية](*)

إعداد

أ.د. غيثان بن علي بن جريـــــس

أستاذ ورئيس قسم التاريخ

كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية

جامعة الملك خالد

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

(*) هـذا الـبحث منشور في مجلة المنهل ، العدد (٥٧١) ، المجلد (٦١) ، العام (٦٦)،شوال – ذي القعدة (١٤٢١هـ/٢٠٠١م)،ص ٢٦-٤٩ .

محتويات البحث

أ ـ مقدمـــــــــة

ب ـ القريـــــــــــة ٠

جـ ـ البيوت ومرافقهـــــــا ٠

د ـ الحصون والقصـــــــور ٠

هـ ـ القلاع والمنشآت العسكرية ٠

١ ـ قلعة الدقـل

٢ ـ قلعة شمسـان

٣ ـ قلعـــة ذره

٤ ـ قلعة شـعـار

و ـ مبانٍ أخرى

العمران في إقليم عسير
خلال القرون المتأخرة الماضية
[دراسة تاريخية حضارية]

أ ـ مقدمـــة

تختـــلف وتتـــنوع طبيعة العمران في جنوبي البلاد السعودية [مناطق جازان ، ونجـــران ، وعسير ، والباحة ، والطائف] من مكان إلى آخر ويرجع هذا التنوع إلى احتياجات وإمكانات أهل البلاد ، وإلى طبيعة هذه الأجزاء ذات التباين الواضح في التضاريس والنواحي الجغرافية الأخرى .

وهـــذه الدراسة أطلقنا عليه " **العمـران في إقـليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية** " برغم أن حديثنا في مواطن عديدة قد شمل مناطق نجران، وجازان ، والباحة، ولكـــن ليس بشكل جوهري ، لهذا اقتصرنا في العنوان على " إقليم عسير " وذلك لعدة أسباب أهمها ما يلي :

١ – يلحظ الدارس لتاريخ جنوبي البلاد السعودية منذ ظهور دعوة الشيخ محمد بن عـــبد الوهـــاب ثم قيام الدولة السعودية الأولى ، أن إقليم عسير كان بين مد وجزر في حدوده ، ولكن غالباً ما كانت مناطق جازان ونجران والباحة تراجع مدينة أبها [**حاضرة منطقة عسير**] ، وخصوصاً في الأمور الإدارية والمالية[1] .

٢ – إن الأجـــزاء التي تشملها منطقة عسير اليوم جبالها ، وسهولها، ووهادها تكاد تكون متشابهة في نواحيها العمرانية مع بقية المناطق الأخرى في جنوبي المملكة العـــربية الســـعودية ، ولهذا ارتأينا تسمية البحث بـــ " **العمـران في إقليـــم عسـير..** " ، مـــع أنـــنا لـــو أطلقـــنا عليه اسم ((**العمران في جنوبي البلاد السـعوديـة ...**)) فلن نجانب الصواب ، ولكن العنوان المستخدم ربما يكون

أكـــثر توافقـــاً مـــع المادة العلمية المدونة بداخل الدراسة ، ومن ثم قد يكون الأنسب علمياً وأكاديمياً .

أمـــا العناصـــر الـــتي سوف نتعرض لها فإنها تشمل الحديث عن القرى وطريقة عمـــرانها وتخطيطها قديماً في البلاد العسيرية ، ثم نفصل الحديث عن أنواع البيوت ، والقصور ، والحصون ومرافقها وطريقة تشييدها ، ولأن القلاع والمنشآت العسكرية منتشـــرة في طـــول وعرض البلاد الممتدة من مكة المكرمة والطائف شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً ، فإن مثل هذا الموضوع يحتاج إلى دراسات تاريخية وحضارية مستفيضة قد تدون في عشرات المجلدات ، ولهذا اكتفينا في هذا البحث بالإشارة إلى أربع قلاع عســـكرية مشهورة توجد بداخل حاضرة أبها وما حولها، واختصارنا في هذا الجانب يعود إلى عدة أسباب منها :-

أولاً : أن كـــتابة هـــذا البحث كان بطلب من سعادة الأستاذ الكريم نبيه بن عبد القـــدوس الأنصـــاري ، **صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها** ، حيث أبلغني خطياً في شهر ذي القعدة عام ١٤٢٠هـــ بالرغبة في إصدار عدد سنوي عن تاريخ العمارة ، ذاكراً في خطابه ما يلي : -

" **وآمـل الأخـذ في الاعتـبار أن هـذا الإصـدار يركـز علي فرعين هما :- العمـارة العسـكرية ، والعمـارة الخدميـة** .. "[٢] وعـــندما عزمت على المشاركة وتجاوبت مع سعادته فضلت الكتابة عن إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية ، وأن يكون حديثنا متشعباً فيشمل العديد من الجوانب، ولا يقتصـــر على عنصر دون الآخر، وذلك بهدف إعطاء فكرة عن منقطة عسير الـــتي لازالـــت بحاجـــة شديدة إلى الدراسات العلمية الأكاديمية في جوانب عديـــدة، والعمـــارة وتاريخها وأهميتها الحضارية والعلمية من تلك الجوانب الهامـــــة .

ثانياً : إن دراسة العمران في إقليم عسير، وأخص بذلك العمارة العسكرية والخدمية، التي ذكرها الأستاذ الأنصاري في خطابه تحتاج إلى تضافر جهود المهندسين المعماريين ، والمؤرخين ، والجغرافيين وغيرهم من المتخصصين ، حتى تخرج لنا دراسات علمية أكاديمية جادة ، ولهذا فإني من خلال صفحات هذه الدراسة أهيب بجميع ذوي الاختصاص الاهتمام بتاريخ العمارة في المملكة العربية السعودية بوجه عام وجنوبي المملكة العربية السعودية بوجه خاص ، وأنا على يقين أن الدارس والباحث لمثل هذه الجوانب سوف يجد جديداً في دراسته، ويحفظ حضارة وتراثاً يمثلان تاريخ وفكر الأوائل ممن سكنوا وعاشوا في هذه البلاد .

كما أنه إلى جانب العناصر السابقة ، فإننا سوف نشير ضمن محتويات هذه الدراسة إلى مبان أخرى عرفتها بلاد عسير ، بل معظم شبه الجزيرة العربية مثل :- حفر الآبار وبنائها ، والمقابر المشيدة فوق سطح الأرض وتحتها ، والكهوف ، والمدرجات الزراعية ، والأحمية وأسوارها ، إلى غيرها من الأبنية المختلفة ، التي لازلنا نشاهد آثارها وبقاياها في أنحاء متفرقة من الأجزاء الجنوبية في المملكة العربية السعودية .

ب - القرية :

وقبل الحديث بالتفصيل عن بناء البيوت خلال القرون المتأخرة الماضية، نتعرض بالإشارة إلى القرية أو القرى المكونة في الأساس من المنازل المتعددة. ومن يلق نظرة سريعة على القرية القديمة في طول بلاد عسيروعرضها ، سواء في الأجزاء السروية أو التهامية ، يلاحظ عدة أمور منها :

(١) تراكم منازل القرية الواحدة بعضها إلى جوار بعض مع وجود ممرات ضيقة جداً توصل بعضها ببعض ، وهذا التخطيط في اندماج وتقارب بيوت سكان القرية،

ربما كان ناتجا من الخوف الذي كان يسود الناس في الماضي ، لما كان هناك من سلب ونهب وفوضى وحروب قبلية ، ولهذا فأفراد القبيلة أو القرية الواحدة ، لابـــد أن يكونوا متقاربين في مساكنهم حتى يتكاتفوا في صد أي عدو خارجي يهاجم مضاربهم[٣] .

(٢) يظهـــر على العديد من القرى القديمة أنها توجد حول المناطق الزراعية، أو بعض الأمـــاكن الـــرعوية المتوفر فيها الماء والكلأ، أو أنها توجد حول أسواق تجارية أسبوعية مرتبطة بالعديد من الطرق التجارية البرية، أو على مقربة من سواحل البحر الأحمر، وبخاصة في الأماكن الصالحة لمرسى السفن التجارية [٤].

وبهـــذا فموقـــع قرى عسير كان متأثراً بالحياة المعيشية، وبما يعـــود على أفراد القـــرية أو العشيرة الواحدة من دخل وتحسين لمستوى معيشتهم، وممارسة لمهنهم التي يقتاتون منها[٥].

ومحاولـــة لمعـــرفة مقدار حجم القرية في عسير، خلال القرون الماضية، فلم نجد مصـــادر توضح لنا ذلك من حيث مساحتها، وعدد المنازل في القرية الواحدة . وقد اســـتطعنا العـــثور عـــلى بعض الروايات المتناثرة في بعض المصادر، فالرحالة تاميزية (M.Tamizia) الـــذي قـــدم إلى بـــلاد عسير، مع قوات محمد علي باشا في العقد الخامس من القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) أشار إلى بعض المواقع العســـيرية، وعدد قراها، فقال عن بيشة " .. **وفيهـا نحو ستين قرية أكبرها نمران، والروشـن الكـبير، والروشـن الصـغير، وهـذه القرية مبنية بالطين، ويستعمل أهلها للبـناء جـذوع الـنخل، ويدخـل الناس إليها من بابين أو ثلاثة أبواب، تقفل في أيام الحـرب، وحيطـان بيوتهـا مـتلاحمة، فهي مثل السور في وجه العدو، وليس لها سوى طـابق واحـد** ..."[٦] ، ثم يواصل هذا الرحالة حديثه بإيجاز عن قرى خميس مشيط ، وحجـــلا، وأبها[٧]، لكنه لم يفدنا كثيراً في توضيح بعض التفصيلات عن هيئة القرى وطرق تخطيطها، بقدر ما ذكر عن عدد الأدوار في كل قرية، ونوعية المواد المستخدمة

في البناء. ويأتي رحالة انجليزي آخر إلى بلاد عسير ، قبل الحرب العالمية الأولى، فيشير إلى مواقع عديدة ، مثل صبيا، و(أبو عريش)، والنماص، وقرية الشعبين في بلدة رجال ألمع، وسراة عبيدة، والظفير في بلاد غامد، ثم يصف طبيعة المنازل في تلك الأماكن، والطرق والمواد المستخدمة في عملية البناء[٨]. والجيد في ملاحظات هذا الرحالة أنه ذكر عدد المنازل في بعض تلك المواقع، فقال عن قرية الظفير : " **هي قرية كبيرة وفيها حوالي (٤٠٠) بيت من الحجر .. وهي بلدة السوق الرئيسي**"[٩]. ثم أشار إلى قرى أخرى ، كالنماص التي تتألف من أربعمائة بيت مبنية من الحجر[١٠]، والشعبين من ثلاثمائة بيت[١١]،وقرية رجال المع من حوالي ألف بيت [١٢]، وسراة عبيدة من مائتي بيت مبنية من الحجر الأجر[١٣]، وعند ذكره لسراة عبيدة ، قال عن أهليها: " ... **وقراهم عديدة ، ومبنية جيداً ، وهم متخصصون في البناء - أي كبنائين - يروجون تجارتهم في عسير** ..."[١٤].

ويشير سليمان باشا الكمالي[١٥]، إلى طبيعة المنازل والقرى في أبها، فيذكر أنها كانت تتألف من ثلاث قرى منفصلة، وفي كل قرية سبعون أو ثمانون مترلا[١٦]. ويتعرض أيضاً إلى وصف بعض القرى الواقعة في أجزاء من بلاد شهران، كتمنية، والقرعاء، والمسقى وما حولها، فيقول: "... **وقرى هذه الجهات مبنية بالحجارة، وفيها أزقة ضيقة، ومنازل متصلة، بحيث تشبه القرية بمجموعها قلعة قائمة بذاتها، ومنازل القرى ذات طابقين أو ثلاثة طوابق، وهي مطلية من داخلها بالجير وذات منظر جميل**"[١٧]. كما أشار إلى أماكن أخرى في الأجزاء السروية، مثل : خميس مشيط ، وتنومة والنماص ببلاد بني شهر، فلم تكن تختلف تلك القرى في تخطيطها وطرق بنائها ، عما سبق الإشارة إليه عن أبها أو قرى تمنية والقرعاء[١٨].

ويعاصر الشريف البركاتي كل من الرحالة الإنجليزي كورنواليس (Cornwalls)، وسليمان شفيق باشا في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، فيصف بعض القرى العسيرية في كل من الأجزاء التهامية والسروية ، ويتحدث عن

بـــلاد بارق فيقول : "... **وقرى وادي بارق تبلغ خمسين قرية كلها مبنية بالحجـــر المنحوت الجميل ، والـدور فيها من طابقـين إلى ثلاثة ...**"[١٩] ، وينتقل إلى الحديث عن بلدة القنفذة : " ... **وهذه المدينة ثلثها مبني بالأحجار، والثلثان الباقيان أكواخ مصنوعة من جريد النخل، وخشب أشجار السمر والطرفاء، ولهم فيها صناعات جميلة واعتـناء تـام حـتى إنهـا تمكث ثلاثين سنة تقريبا، وأغلب البيوت المبنية بالأحجار طبقة واحدة ، عدا محلات الحكومة والأغنياء من التجار فبيوتهم طبقتان...**"[٢٠] ، ويصف بعض القرى في الأجزاء السروية مثل أبها ، وخميس مشيط، وبيشة وما حولها، فيـــتفق مع السيركيناهان كورنواليس (S.K.Cornwalls) وسليمان باشا من حيث ضيـــق وتراكم منازل القريـــــة بعضها على بعض، ومن حيث ارتفاع المنازل وعدد أدوارها [٢١].

وفي أواخر القرن الهجري الماضي يصف أحد أبناء البلاد العسيرية القرى والمنازل في إقليم عسير، فلا يذهب بعيداً عما ذكر المؤلفون السابقون، لكنه أضاف تفصيلات أكـــثر عـــن بعض القرى[٢٢]، مثل بلدة النماص وما حولهـــا من القرى فقال: "..**ويحيـط بالـنماص حوالـي ثلاثـين قرية، أبعدها لاتـزيد مسافتها عن ساعة واحدة.. ويلاحـظ وجـود قـلاع وحصـون مـنيعة في معظـم القرى الواقعة في منطقة النماص. وطـريقة البـناء في كـل المنطقة بالحجارة، فلا تـرى بيتا باللبن أو بالطوب، بل جميع هـذه بالحجـارة ماعدا بعض البيوت الواقعة في بلاد بني الأحمر (باللحمر) فإن أسفلها بالحجارة، وأعلاها باللبن، كما أن متانة البناء وقوته في بيوت النماص وما جاورها من القـرى مدهشـة وعجيبة في نفس الوقت. إذ إنهم يستعملون في بنيانها صخوراً كبيرة قـل أن يحمـل الصـخرة الواحدة خمسة من الرجال، بل ربما كانت أكثر قوة وصلابة وحجماً، وتـبدو قـوة البـناء ومتانـته في القصور الخاصة بآل العسبلي، فهي آية في القـوة والمـتانة وسمـك البـناء، ولقد ذرعت بعض الصخور التي وضعت في إحدى هذه القصـور، فوجـدت عرضها لا يقل عن متر وطولها حوالي مترين، كما أنني لاحظت أن سمـك البـناء في بعـض تـلك القصور يزيد عن المترين. وإن قل فمتر ونصف وتتألف**

هـذه القصـور من عدة حجرات وغرف واسعة، ويبلغ ارتفاع بعض هذه القصور حوالي عشرة أمتار، تتألف من أربعة وخمسة أدوار ... "[٢٣].

ومـــن يتجول في أنحاء بلاد عسير [تهامة وسراة] يجد أن الكثير من القرى التي أشار إليها الكتّاب السابقون وغيرهم، لازال ماثلاً للعيان ، وأغلب المنازل القديمة بها لم يعـــد يســـتخدم ، وإنمـــا هجرها أهلها وبنوا لهم دوراً جديدة ، جل موادها من الخرســـانة المســـلحة. وبالتالي ظهر هناك العديد من القرى الحديثة في نمط عمارتها، وصارت تقام جنباً إلى جنب مع القرى القديمة[٢٤].

جـ ـ البيوت ومرافقها :

جميع القبائل والعشائر في عسير تمتلك قرى ومضارب للاستيطان، ولكن بناء منازلهم اختلف من مكان لآخر، والاختلاف ناتج من التباين التضاريسي الموجود في الـــبلاد وكذلـــك عـــن اخـــتلاف الأحوال الجوية، وإمكانات الحصول على المواد المســـتخدمة في البـــناء تختلف أيضاً من جزء لآخر. ولكي نطلع القارئ الكريم على طبيعة البيوت ومرافقها رأينا أن ندرس المنطقة على ثلاثة محاور: المحور الأول ويشمل الجـــزء الأوســـط، أو ما يسمى بالأجزاء السروية، والمحوران الآخران هما: الأجزاء الـــتهامية الغربية من المحور الأول، والأجزاء النجدية البدوية الواقعة إلى الشرق من الأجزاء السروية.

فأما الأجزاء السروية الممتدة من نجران جنوباً إلى زهران شمالاً، فيوجد بها العدد الأكبر من القرى والمنازل والسكان، إلى جانب أن معظم البيوت ومرافقها بهذا الجزء مبنية من الحجارة[٢٥].

ولازلنا نشاهد مئات القرى وآلاف البيوت ماثلة للعيان حتى يومنا الحاضر[٢٦]. وبهذا الجزء بعض البيوت مبنية من الطين ، أو جزء يبني من الطين والجزء الآخر من الحجـــر فبلاد قحطان وشهران وأجزاء من رجال الحجر، تجد أن بعض الأسر كانت

تبنى منازلها من الطين ، أو أنها تؤسس للبيت بجدار من الحجارة يرتفع عن الأرض متراً إلى مترين ، ثم يواصل بناء البيت كاملاً بالطين، وربما كانوا يلجأون إلى استخدام الطين لسهولة جمعه وتجهيزه، وبخاصة إذا ما قورنت مع عملية إحضار وتجهيز الحجارة. ولعلّ استخدام الطين بالمناطق التي يستخدم فيها الطين بالأجزاء الجبلية السروية، يعود إلى ندرة الحجارة الجيدة الصالحة للبناء، والملاحظ أن الأطراف الجنوبية السروية من الإقليم العسيري أقل احتواء على الحجارة ، خصوصاً إذا ما قورنت تلك الأجزاء بالنواحي الشمالية في المنطقة نفسها. وكثيراً ما نجد الحجارة مستخدمة في البناء ببلاد زهران وغامد، وبلقرن وشمران وخثعم، وبني عمرو وبني شهر وبللسمر وما حولهم. وعندما نتجه نحو الجنوب إلى بلاد بللحمر، وقبائل عسير الرئيسية، وبلاد شهران وقحطان نجد كثيراً من المنازل ومرافقها مبنية من الطين ، أو الحجر ، أو منها معاً [٢٧].

أما الأجزاء الشرقية أو الغربية من عسير، فالتباين بها أيضا ملموس، حيث يوجد بعض المباني الحجرية في القرى الكبيرة، أمثال: جازان، وصبيا، وأبو عريش، ومحائل، وحلي ، ورجال ألمع ، وبارق، والقنفذة، وفي أسفل المنحدرات الغربية للأجزاء السروية، أو ما يسميه أهل البلاد بـ [الأصدار، ومفرده صدر] ، وكذلك في تثليث، وبيشة، وبعض البوادي من الأجزاء الشرقية، ولكن استخدام الحجارة في البناء بتلك الأجزاء لا يرقي إلى مستوى استخدامها في الأجزاء السروية. وفي الأجزاء التهامية السهلية كـ (جازان ، وصبيا، وأبو عريش، والبرك ، والقنفذة، وغيرها) يكثر استخدام الأخشاب والأشجار في بناء بيوتهم التي يطلقون عليها بعض المصطلحات العامية في لهجتهم ، مثل : (العشش ومفردها عشة، والصبول ومفردها صبل، والأعرشة ومفردها عريش). أما منازل الطين فقليلة جدا، ولا توجد في بعض المناطق التهامية، وأما الأطراف الشرقية من الإقليم، فأغلب المنازل بها مبنية من

الطين، وأحياناً تبنى فيها بعض المنازل من الأخشاب والأشجار كجريد النخل، وهناك من كان يبني مترله من الحجارة، ولكن بشكل أقل مستوى من أهل السراة، وإلى جانب استخدام الطين والحجر والجريد، كان بعض من أهل الأجزاء الشرقية بدواً رحلاً يذهبون وراء رعي مواشيهم، فيصنعون بيوقم من الشعر الذي يحصلون عليه من أصواف بهائمهم التي يملكون، وبهذا يسهل عليهم نقلها أثناء نزولهم وترحالهم من مكان لآخر بحثاً عن الماء والكلأ.

والبيوت ، سواء كانت في الأجزاء السروية أو التهامية ، أو الشرقية، كان لها مرافق كالأسوار التي تحيط بها ، أو بعض الملاحق التي هي : عبارة عن بيوت أو غرف أصغر من المنازل الأساسية، وغالباً ما تستخدم لمبيت البهائم، أو مستودعات لما يحتاجه أفراد الأسرة. وتختلف المنازل في حجمها من مكان لآخر، ومن أسرة لأخرى، فتجدها في القرى الكبيرة[٢٨] ، أمثال: خميس مشيط، وأبها، وسراة عبيدة والنماص، وبيشة ، والقنفذة، وبارق، والبرك، وحلي، وصبيا، وجازان، تتراوح بين الطابق الواحد وبين عدة طوابق ، وهذا الاختلاف يعود إلى القدرة المالية للأفراد والأسر، فشيوخ القبائل ، والتجار، والمقتدرون مادياً يُشيّدون بيوتاً متعددة الأدوار، وجيدة البناء والنقش، أما الفقراء أو عامة الناس فيكتفون بدور واحد، أو في أغلب الأحيان يكون دوراً ناقصاً فلا يتكون إلا من غرفة أو غرفتين على الأكثر، وكلما ابتعدنا عن المراكز الحضارية إلى الأرياف والبوادي أو القرى الصغيرة، وجدنا مستوى البناء يتدنى، وعدد الطوابق يقل، ومواد البناء المستخدمة تصبح أقل جودة مما هي عليه في القرى والمراكز الحضارية الكبرى[٢٩].

والمراحل التي يمر بها بناء المترل تختلف في البناء بالأحجار، إلى اللبن (الطين)، إلى القش وغصون الأشجار. وهذا ما سنناقشه في الصفحات القادمة. وجميع سكان إقليم عسير يتشابهون في طريقة اختيار المكان الذي يراد استخدامه لتشييد المترل عليه ، لم

تكـــن هـــناك مخططـــات منظمة ومدروسة طبقاً لشروط ومعايير محددة، وإنما أغلب الســـكان يمتلكون أراضي زراعية أو سكنية ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، وغالباً ما تكـــون معروفة بحدود ومعالم معينة[٣٠]. وعندما يريد الفرد أن يقيم له سكناً ، يختار مكانـــاً معيـــناً بدون سابق تخطيط ، ويبدأ في عملية البناء، ولكن عند اختيار المكان يراعي قربه من موارد المياه، ومن أفراد القرية أو العشيرة التي ينتمي إليها، حتى يكون في مـــأمن ، فيـــنال الحمايـــة والـــتعاون من أفراد قريته وعشيرته في أوقات السراء والضراء[٣١].

وطـــريقة البناء بالأحجار متشابهة في جميع أنحاء البلاد، حيث يبدأ بتسوية الموقع المـــراد إقامـــة المنـــزل عليه ، ثم يحفر قرابة نصف متر للجدار الأساسي للمنـــزل ، وتجلب الأحجار الكبيرة من الجبال والأودية فتوضع بشكل منظم في تلك الحفرة التي يطـــلق عليها عند بعض أهل البلاد اسم [الرَبض] ، ثم يواصل البناؤون ومن يعمل معهـــم [٣٢]تشييد الجدر الرئيسة، ويختلف سمك جدار البناء من مكان لآخر، لكنها تـــتراوح من ثمانين سنتيمتراً إلى متر ومترين، وذلك حسب حجم السكن الذي يراد تشييده ، وهل يتكون من دور أو دورين، أو أكثر من ذلك؟ وكلما زاد عدد الأدوار المـــراد تشييدها، زاد سمك جدار البناء، والجدار في الدور الواحد يرتفع حوالي ثلاثة أمـــتار، وبخاصـــة في الأجـــزاء السروية، وأقل من ذلك بقليل في الأجزاء التهامية والشرقية من المنطقة نفسها. كما يصمم الجدار الواحد من شقين، الشق الخارجي أو مـــا يســـمى بـــ [الوجه]، وهو الجزء الخارجي من الجدار، ويراعي في هذا الوجه اختيار الحجارة ذات الأوجه المتساوية، حتى يكون منظرها جميلاً، أما الشق الآخر فهو الجزء الداخلي، ويطلق على هذا الشق اسم [القفا أو الخلف]. وفي كلا الشقين يضع البـــناؤون بـــين الحجـــارة الكبيرة في الجدار، حجارة رقيقة صغيرة يسمونها ببعض الـــلهجات المحـــلية [صَلباً ، أو كَحلا] بفتح الصاد والكاف وتسكين اللام والحاء،

وذلـــك ليظهر الجدار بشكل جميل خال من الفجوات . كما يوضع بين الوجه والقفا في الجـــدار حجـــارة صغيرة مع الطين ، لكي يتماسك الجدار بعضه مع بعض، وفي الغالب يطلق على الجدار بشقيه ، وما بداخله اسم [مدماك وجمعه مداميك]. وبهذه الطريقة يتم تشييد جميع جدر المنزل مهما كانت أدواره، ومهما كان حجمه ، وعندما تشيد الجدر الخاصة بالدور الأول يسقف السطح بالأخشاب والتراب.

وطريقة التسقيف تمر ببعض الخطوات ، فتجلب الأخشاب الكبـــيرة من الجبال والأودية الخاصة بأهل القرية، وفي الغالب تكون تلك الأخشاب من شجرة العرعر أو الطلح، أو العتم [الزيتون البري] أو السمر ، ويطلق على الخشبة الواحدة اســـــم [بطنة وجمعها بطن]، ويجلب معها أيضاً أغصان صغيرة الحجم ومستقيمة تسمـــــى [مـــراكب ومفـــردها مـــركاب ، أو جريد ومفردها جريدة] . ثم تشذب وتنظف الأخشـــاب [الـــبطن] الكبيرة ، وتوضع على كل غرفة على أن تكون متصلة من جدار إلى آخر، وحين تكون الغرفة واسعة المساحة ، ولا تصل الأخشاب المجلوبة من جـــدار لآخـــر ، يؤتى بأربع أو خمس خشبات أكبر وأطول وأقوى ، تسمى في بعض الـــلهجات المحـــلية مـــن عسير [سواري ومفردها سارية] أو اسم [جيز للخشبة الواحـــدة منها][٣٣] ، وتمد على عرض الغرفة ، وبعدها يرتب بقية الخشب [البطن ومفرده بطنه] بشكل طولي ومتقابـــل على الغرفة التي وضعت عليها [الســـواري]، عـــلى أن يكون أحد أطراف الخشب [البطن] على جدار الغرفة ، والطرف الثاني عـــلى الســـواري ، ثم تفـــرش (المراكب) على (البطن) ، وتغطى ببعض النباتات والشـــجيرات، كنبات العرفج وغيره ، وأحياناً توضع فُرشُ الطفي أو سعف النخيل عـــلى (المـــركب) ثم يغطـــى السطح كاملاً بالطين، وبسمك فوق (المراكب) يبلغ الخمسة عشر إلى الثلاثين سنتمتراً ، بعدها يغطى بالتراب ، وعند ذلك يكون الدور

الواحد قد اكتمل تعميره، ثم تُتبع الطريقة الآنفة الذكر في تشييد الأدوار الأخرى ، إذا كان المنزل من دورين أو أكثر.

ويـــراعي في مســـاحات الأبواب والنوافذ صغر الحجم، فلا يستطيع الرجل المتوســـط الحجـــم الدخول من أغلب النوافذ المصممة في المنازل القديمة ، كما أن مداخل الأبواب تكون صغيرة، حتى الرجل القصير القامة ربما ينحني عندما يدخل من بعض الأبواب، وإذا كان المنزل الواحد مكوناً من عدة أدوار، ففي الغالب أن نوافذ وأبـــواب الأدوار الســـفلي تكون أصغر بكثير من الأبواب والنوافذ التي في الأدوار العـــليا. والسبب في ذلك ربما يعود إلى الخوف من السارق أو من قد يداهم البيت ليـــلاً، أو أثـــناء غياب أرباب البيوت . أيضاً الحصول على الدفء ، والتخفيف من دخول الهواء البارد ربما يكون سبباً آخر في جعل فتحات الأبواب والنوافذ صغيرة.

أما طريقة بناء البيوت الطينية فغالباً ما تكون على شقين:

الشق الأول: أن يكون المنزل مبنياً في الأساس بالحجارة، وبارتفاع يتراوح من المتر إلى المـــترين ثم يستكمل بناء الجدر بالطين. والتأسيس لهذا النوع من البيوت مثل طريقة بناء المنازل الحجرية السابقة الذكر.

والشق الثاني : أن يشيد البيت من الأساس بالطين، وطريقة استخدام الطين في البناء، هـــي : البحث عن التربة الجيدة التماسك، فيؤتى بها ، ثم يخلط عليها التبن المنقى من درس القمـــح والشـــعير، وتمـــزج بالماء وتدرس بأرجل الحيوانات (كالبقر والحمير وغيرهـــا) لعدة ساعات ، وأحياناً ليوم أو يومين ، ثم يجمع الطين المدروس وينقل إلى مكان البناء ، فيوضع على هيئة جدار أو (مدماك) ، ويترك بعض الوقت حتى يجف ، ثم يواصـــل العمل على هذا النهج حتى يتم بناء جدر الدور الأول أو الأدوار المراد تشييدها ، والتسقيف وعمل الأبواب والنوافذ ، يسلك فيها الطريقة المتبعة في تعمير الـــبيوت الحجـــرية ولازلنا نلاحظ هذا النوع من المنازل في أماكن متفرقة من بلاد

قحطان، وشهران ، ومدينة أبها وما حولها، ومحائل ، وبارق ، وبعض الأجزاء التهامية الأخـــرى ، ومـــنها مـــا هو على هيئة أشكال هرمية ، أو اسطوانية ، أو مربعة، أو مســـتطيلة، ويشاهد على جدر بعضها من الأعلى حجارة مبسوطة رقيقة مرصوصة بعضـــها فوق بعض، يطلق عليها في بعض اللهجات المحلية اسم (رقف) . وفائدة هذه الحجارة أنها تساعد على تماسك الجدار الطيني ، كما تقيه من تأثير الأمطار.

ومنازل القش ، والأشجار توجد بكثرة في الأجزاء التهامية، الممتدة من جازان إلى القنفذة ، وفي بعض الأجزاء الشرقية ، كبيشة وما حولها ، ومنها ذات الأشكال المخروطية ، أو المربعة ، أو الدائرية ، أو المستطيلة . ومن أهم هذه البيوت، العشة، والعـــريش، والصبل، وجميعها تبني من أخشاب الأشجار المحلية، كالدوم، والسلم ، والســـمر، والنخل، والأثل وغيرها . ولبناء العشة يتم اختيار مكان البناء ، ثم يحفر الأســـاس ، وبعدهـــا يؤتى بالأخشاب الثقيلة فتغرس رأسيا في حفر الأساس وبشكل مـــرتب، وبارتفـــاع يـــتراوح من المترين إلى ثلاثة أمتار تقريباً، ويتم الربط بين تلك الأخشـــاب الكـــبيرة بحـــلقة تسمى [الجرائح] . وهذه الجرائح مكونة من الأعواد الصـــغيرة التي يسهل استخدامها ولفها حول محيط العشة . وتواصل عملية البناء إلى أعـــلى وبشـــكل تدريجي حتى تنتهي إلى رأس العشة، ويطلق على الرأس عند بعض السكان في تهامة اسم [القرعينة] وتأتي مرحلة الكساء الذي تغطى به العشة ، وغالبه مـــن القش وأغصان الأشجار، وتربط من الأسفل بحبال المرخ ، ويسمى ذلك الربط بـــ [" الوزرة"] ، وينتقل إلى الجزء الأعلى الذي يسميه بعض الأهالي بـــ (البديم)، فيربـــط أيضـــاً بحـــبال المرخ أو الطفى. وغالباً يضاف من الأعلى أغصان وأوراق الشـــجيرات أمثال: الثمام والحلف، ثم تلف العشة مرة ثانية من الأعلى إلى الأسفل بحبال أخرى حتى تصير قوية ومتماسكة بشكل جيد.

أمـــا العـــريش والصـــبل فمواد بنائها أيضاً من الأخشاب والقش ، وأغصان الشـــجر، إلا أن الصبل يكون في بعض الأحيان بمثابة ملحق للعشة، يستخدم مطبخا لطهي الطعام ، أومجلسا لاستقبال الضيوف، وخاصة عند الأغنياء وميسوري الحال . أما عند بعض الفقراء فيعدّ مترلهم الأساسي .

وبعـــض المنازل التي على هيئة صبول تترك جوانبها مفتوحة ، أو يترك لها بابٌ واســـع لـــتكون جيدة التهوية، أما العشة ففي الغالب تكون أبوابها صغيرة، وبعض العشـــش لهـــا بابـــان ، أما العريش فغالباً يكون مفتوح الجانبين ، ويستخدم لمبيت الحيوانات ، أو لأغراض أخرى متعددة .

وجميـــع الـــبيوت الحجرية أو الطينية أو الشجرية تتشابه في إحاطتها بأسوار أو أحواش. فالذين يستخدمون الحجر أو الطين في بناء منازلهم ، يحيط بعض منهم داره بســـور مـــن الحجر أو الطين ، ثم يوضع على أعلى السور أغصان الشوك أو بعض الشجر ذات الأشواك لتحمي البيت ممن قد يدخله من اللصوص أو بعض البهائم ، أو الوحـــوش المفترسة . والمنازل المبنية من الأشجار يوضع حولها أسوار من الأخشاب والأشجار نفسها المستخدمة في بناء العشة أو العريش أو الصبل.

وبعد اكتمال الهياكل الأساسية للمنازل، تأتي مرحلة أخرى، هي تزيين المترل من الداخـــل ، ومن خلال رحلاتي في بعض الأجزاء من إقليم عسير وكذلك في منطقة نجـــران وجـــازان والباحة، شاهدت العديد من المنازل القديمة ، التي يعود تاريخ بناء بعضـــها إلى ثلاثمائـــة وأربعمائـــة سنة، وأعظم ما لفت نظري ما يوجد من الألوان والـــنقوش المختـــلفة بداخـــل بعض من تلك المنازل . فالجدر الداخلية والأسقف والأرضـــيات مكسوة بالطين الأصفر أو البني ، وأرضيات بعضٍ منها مخططة بالطين تخطيطاً نصف دائري، أو ذات أشكال مستطيلة أو مثلثة ، أو مربعة ، وأحيانا يكون في بعـــض الحجـــرات خط أفقي عريض، يطوق الغرفة، ويبلغ ارتفاعه من مستوى

الأرضية حوالي نصف متر تقريباً، مطلي باللون الأخضر، يليه من الأعلى عدة أشكال صغيرة متناغمة الألوان بين الأحمر ، والأسود ، والأخضر، والأصفر. وبهذه الأشكال والألـــوان العجيبة توجد مربعات ، ومثلثات، وأهرامات ، وأزهار ونحوها في مظهر متناســـق فـــي بديـــع، أما الأسقف في بعض المنازل فتلون ببعض الألوان المختلفة، وكذلك بعض الأبواب والنوافذ، وأحياناً المداخل الرئيسة للمنزل يرسم عليها بعض الـــنقوش الجميلة المتناسقة، وأحياناً تطلى النوافذ والأبواب بمادة القطران المستخرجة من بعض الأشجار المحلية ، وربما رسم على بعضها رسوم طبيعية جميلة.

والبيوت المشيدة من الأشجار ، تقوم النساء مثلهن مثل ربات البيوت في المنازل الحجـــرية أو الطينية بتزيين بيوتهن من الداخل ، فيغطين جدرها بالطين المخلوط مع التبن، وأحياناً روث بعض البهائم (كالأبقار) ، وبعد الانتهاء من عملية تغطية الجدار وجفافه ، يطلى بمسحوق أبيض، ثم يرسم عليه بعض النقوش والزخارف الجميلة.

وهناك خدمات أخرى تتبع المنازل، كالتدفئة ، والتبريد والإضاءة ، وجلب الماء، والأثـــاث ، وهـــذه الخدمات جميعها كانت موجودة في الماضي، ولكن بشكل بدائي ويســـير جداً لا يقارن مع الخدمات التي يتمتع بها الناس اليوم ، سواء في إقليم عسير أو غـــيره. ومع كونها كانت بسيطة في الماضي، فإنها كانت أيضا تتفاوت مع القرى الكـــبيرة إلى الأريـــاف والبوادي، ومن دور الأغنياء والأعيان والشيوخ إلى منازل الفقراء أو المعوزين ومن هو على شاكلتهم [٣٤].

والتدفـــئة والتبريد تختلف من مكان لآخر، لأن التضاريس والمناخ لهما دور في إيجـــاد الـــدفء والبرد [ولم يكن هناك أجهزة تبريد أو تدفئة كما نشاهد في عصرنا الحاضـــر] . فعـــندما يـــأتي البرد لا يتقى إلا بارتداء الملابس لمن يملكها أو يستطيع الحصول عليها ، إلى جانب جلب الأخشاب والحطب من الأودية والجبال، ثم إشعال الـــنيران الـــتي يحصل على بعض الدفء منها ، وكانت أكثر المناطق برودة الأجزاء

الجبلية ، وأحياناً الأطراف الشرقية البدوية من الإقليم نفسه ، التي يشتد البرد بها في فصـــل الشـــتاء، وبقية الفصول الأخرى تكون أخف وطأة. والحصول على البرودة وبخاصـــة في المـــناطق السهلية التهامية ، فلم يكن هناك أي وسيلة ، إلا التظلل تحت الأشجار، أو الغسيل بالماء، أو وضع بعض الأقمشة أو الخيش في الماء، ثم وضعه على أعلى العشش، أو سطوح المنازل، لكي تكسر حدة الحر وتلطف الجو ببعض البرودة.

وجـــلب ميـــاه الشرب والغسيل إلى المنازل كان يتم عن طريق العيون والآبار، والجالبون له هم النساء والأطفال وأحياناً الرجال الذين يرفعونه من الآبار عن طريق الـــدلاء، ويحملونه على ظهورهم ، أو على ظهور الحمير والإبل، ثم يخزنونه في قدور وأواني مصنوعة من الفخار.

ومن النادر أن نجد أحـــداً يمتلك خـــزاناً للماء، وإن وجـــد بعض الخزانات، فلم تظهر إلا في العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري(العشرين الميلادي)، وبخاصة عند الأغنياء والمقتدرين مادياً . أما بيت الخلاء والحمامات، فوجدت في بعض الدور وأماكن مخصصة للغسيل والنظافة، أما أماكن قضاء الحاجة، فلم تكن موجودة بكثرة، ولم تستخدم بشكل واسع إلا منذ العهود المتأخرة في القرن الماضي.

والأثـــاث تـــزين به المنازل ، فالأغنياء، والأمراء ، والشيوخ يمتلكون في أغلب الأحيان دوراً ذات أثاث جيد . أما الفقراء في القرى والبوادي والأرياف ، فلم يكن عندهم إلا أشياء بسيطة ، وفي كثير من الحالات تكون بعض المنازل خالية من الأثاث لـــندرتها ، أو عدم القدرة على شرائها، وأغلب أنواع الأثاث الموجودة قديماً كانت تصنع من جلود وأصواف الحيوانات المحلية، أو تستورد بعض الملاحف والسجاد من المـــدن الكـــبرى في شبه الجزيرة العربية ، كالمدينة المنورة، ومكة المكرمة، وصنعاء ، واليمامة ، والبحرين ، وغيرها.

وبعض الرجال كانوا يحبذون تزيين البيوت من الداخل ، فيعملـــون على شراء بعـــض الأســـلحة ، كالسيوف، والخناجر، والبنادق، والأحزمة وغيرها ، ثم يعلقونها على جدر بعض الحجرات في المترل، وغالباً ما تكون تلك الحجرات أماكن استقبال الضيوف، أما النساء فيجمعن بعض الصحون ، والقدور أو الأواني الجميلة فيعلقونها في الحجرات المخصصة للطبخ، أو بعض الحجرات الأخرى في المترل، بهدف حفظها، وإضفاء شكل جمالي على جدر المترل من الداخل.

د ـ الحصون والقصور :

مـــن الأبنية في عسير، الحصن والقصر، والأول بناء مستقل بذاته ، يتكون من عدة طوابق ، وله أهداف عدة منها : استخدامه للدفاع والحرب ضد أي عدو يهاجم المنطقة التي يوجد بها هذا الحصن. أو يستخدم لتخزين الحبوب والعلف وما أشبهها . أو يســـتخدم لمراقبة وحراسة المزارع ، وأحياناً قد يستخدم للسكن. أما القصر ففي الغـــالب يســـتخدم للسكن ، ومن يمتلك القصور يكون في أكثر الأحيان من طبقة الأمراء ، والمشايخ ، والأعيان ، والتجار.

وتكـــثر الحصون والقصور في إقليم عسير، وبخاصة في الأجزاء السروية الواقعة بـــين نجران جنوبا، وزهران شمالاً ، ولازال ماثلاً للعيان العديد من الحصون والقصور التي نشاهدها في هذا الجزء ، وقد أصابها الخراب والدمار، حتى إن بعضها لم يبق منه إلا جـــزء بسيط ، وبعضها الآخر أوشك على الانهيار، وستسقط قريباً إذا لم تجد من يصـــونها ويحـــافظ عـــليها . وتاريخ بعض هذه الحصون والقصور ربما يعود مئات السنوات إلى الوراء .

ومما يؤكد ذلك ما ذكر ابن المجاور عندما وصف بعض الحصون والقصور في بـــلاد الســـراة، فقال : " ... **وقد بني في كل قرية قصر من حجر وجص، وكل من هـؤلاء ـ يقصد أهل السراة ـ ساكن في القرية له مخزن في القصر، ويخزن في المخزن**

جميع ما يكون له من حوزه وملكه، وما يؤخذ منه إلا قوت يوم بيوم، ويكون أهل القرية محتاطين بالقصر من أربع ترابيعه "[٣٥]. وهذا الوصف الذي حفظ لنا ابن المجاور من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، لازال ينطبق على طبيعة وهيئة بعض الحصون المهجورة في بعض قرى عسير السروية [٣٦].

وتختلف مواد بناء الحصون والقصور، وبخاصة في البلاد السروية ، فبعض منها مبني بالحجارة والطين معاً، وبعض آخر يؤسس لها بمترين أو ثلاثة أمتار من الحجر ثم تستكمل من الطين، ومنها ما هو مبني من الطين فقط .

والحصون المشيدة من الحجر مع الطين تكثر في بلاد غامد وزهران ، وبلقرن وشمران، وخثعم ، وبلاد الحجر. أما الحصون والقصور المبنية من الطين فتوجد بكثرة في بلاد قحطان وشهران، وديار عسير الرئيسة. والأسباب في هذا الاختلاف يعود إلى ما ذكرنا سابقا، من حيث تواجد المواد الأساسية للبناء سواء كانت من الأحجار أو الطين.

أما الحصون أو القلاع التي شيدت من أجل هدف حربي دفاعي فقد وضعت على رؤوس الجبال، أو في الأودية، أو بعض المناطق الاستراتيجية التي يستطيع المحارب أو المدافع استخدامها على أحسن وجه ضد العدو. وغالباً يتم بناء هذه الحصون بطريقة جماعية يشترك فيها أهل الفخذ أو القرية أو العشيرة الواحدة، أو من له مصلحة حتى ولو كان من قرية أو عشيرة أخرى. وهذه الحصون تتفاوت في عدد طوابقها ، وفي سعتها وضيقها[٣٧]، ولا زال العديد من الحصون المختلفة على قمم الجبال، وفي بعض الأودية والوهاد والهضاب، وبداخل بعض القرى في أنحاء الإقليم. كما أن بعضاً من تلك الحصون الواقعة في القرى، أو بالقرب من المزارع تكون ملكاً لأسرة أو لعدة أسر يرتبطون بجد واحد، شيدوها لأجل استخدامها في الدفاع، أو حراسة مزارعهم وتخزين حبوبهم وأعلاف بهائمهم بها.

أمـــا القصور فتوجد غالباً في المراكز الحضارية الكبرى ، كبيشة ، والنماص، وتنومة ، وأبها، وخميس مشيط، وجازان، وأبو عريش، والقنفذة، وفـــي بعض القرى المجاورة للمراكز المذكورة آنفا [٣٨].

وتختـــلف أحجام ونوعيات القصور من مكان لآخر، ومن أسرة لأخرى حسب الإمكانيات والقدرات المادية، ونشاهد في يومنا الحاضر العديد من القصور المهجورة في طـــول وعـــرض الإقليم العسيري، وبعضها مبني بالحجارة ومطلـــي من الخارج بـــالجص، وأحيانا منقوشة بحجر المرو، والبعض الآخر مبني بالطين أو بالطين والحجر معاً.

وتزيين القصور من الداخل يعود إلى القدرة المالية عند أصحابها ، فكلما كانت أحـــوال صاحب القصر جيدة، انعكس ذلك على نقش وزخرفة القصر من الداخل، وعـــلى الأثاث والأدوات المستخدمة داخلياً. وبالمقارنة مع أصحاب البيوت الفقيرة ومتوســـطي الحال في المجتمع ، فمستوى نقش وزخرفة وتاثيث قصور الأغنياء افضل حالاً من غيرها.

هـ ـ القلاع والمنشآت العسكرية :

عرفت أبها عاصمة منطقة عسير بالكثير من المنشآت العسكرية، وخاصة خلال القـــرنين الـــثالث عشر والرابع عشر الهجريين (التاسع عشر والعشرين الميلاديين)، ومن تلك المعالم ما سوف نورده في النقاط التالية :

١ – قلعة المفتاحة اختطها الأمير علي بن مجثل العسيري[٣٩].

٢ – الثكـــنة العســـكرية المعـــروفة بطاش قشلة (أي المبنية بالحجر) اختطها الوالي التركي فيضى باشا (١٢٩٤هـــ / ١٨٧٧م – ١٢٩٧هـــ / ١٨٧٩م) أثناء حكمه بأبها سنة ١٢٩٤هـــ ، وكانت تقع على القسم الجنوبي من رأس أملح وقد بني على أنقاضها قصر شدا الجديد[٤٠].

٣ – اختط قصر شدا القديم في عهد الأمير/عائض بن مرعي (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م – ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م)، وكان من أمنع معاقل الجنوب على الإطلاق ، ثم أدخل عليه الأمير / محمد بن عائض (١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م – ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م) تحسينات قيمة وأحاطه بسور رفيع ، كما أحدث بجواره مزرعة وبساتين أنيقة سميت فيما بعد بـ (الطبجية)[٤١].

ويذكر أحد الرواة بعض التفصيلات عن قصر شدا فيقول: كان مقاماً على ربوة شرقي ساحة البحار، وشمالي بستان (الطبجية)، ويتكون من أربعة طوابق، استمر استخدامه منذ القرن الثالث عشر حتى النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، ثم أصابه الخراب والدمار، وأخيراً تم هدمه وأقيم مكانه مبنى الهاتف القديم، والموجود حاليا في الطرف الجنوبي من أسواق أبها التجارية[٤٢] .

٤ – لقد اهتمت الدولة العثمانية بالمنشآت العسكرية في منطقة عسير، وخاصة في مدينة أبها وما حولها، ومن يتجول في مواقع كثيرة من الجبال والوهاد التي تحيط بحاضرة أبها يجد آثار الحصون والقلاع التي بناها الأتراك من أجل السيطرة على منطقة عسير، والتصدي لحروب القبائل التي كانت تثور بين حين وآخر.

والوالي التركي محيي الدين باشا في منطقة عسير (١٣٣١ – ١٣٣٧هـ/ ١٩١٣– ١٩١٨م) كان من أكثر ولاة الأتراك الذين قاموا ببناء التحصينات في بلاد عسير[٤٣]، فقد مد الخطوط الرئيسة للمواصلات بين أبها وملحقاتها، وأنشأ المعاقل في المراكز والمضايق الهامة والمنعرجات ورؤوس الجبال والوهاد المختلفة في منطقة عسير[٤٤]. كما قام ببناء العديد من الحصون والثكنات والقلاع العسكرية في أماكن متفرقة من حاضرة أبها، ومن أهم تلك القلاع : قلعة الدقل، وقلعة شمسان، وقلعة ذرة، وقلعة شعار[٤٥]، ولأهمية تلك القلاع الأربع في عهد الأتراك بمنطقة عسير ، وكذلك بقائها حتى الآن ماثلة للعيان،

وهـــي تمثل جزءاً من الآثار المندثرة في عسير ، لذا رأينا أن نفرد في الصفحات التالية دراسة مختصرة لكل قلعة من تلك القلاع العسكرية.

١ـ قلعة الدَّقـــل :[٤٦]

تقـــع قلعة الدَّقل ، بالدال المشددة مع الفتح، في الشمال الغربي من مدينة أبها، وقـــد شيدت فوق جبل يبلغ ارتفاعه في حدود (٢٣٤٣) متراً فوق مستوى سطح البحر ، ويبلغ ارتفاع هذا الجبل فوق مستوى وادي أبها في حدود (١٤٣) مترا[٤٧].

ويعـــد هـــذا الموقع ذا أهمية استراتيجية من الناحية العسكرية، إذ يمكن بواسطة القلعة المشيدة عليه والتي تتمركز فيها الحامية العسكرية إغلاق جميع المنافذ والطرق الـــتي تتخـــلل الشعاب والأودية عبر السلسلة الجبلية الواقعة في الجهتين الشمالية والغـــربية من القلعة، والتي من السهل على المهاجمين التسلل عن طريقها إلى داخل مدينة أبها، إلى جانب ذلك فإنه بالإمكان عن طريق هذا الموقع التصدي لأي هجوم محتمل من الجهة الشمالية ودحره قبل دخوله المدينة[٤٨] .

ويعد الوالي التركي في عسير، محيي الدين باشا (١٣٣١- ١٣٣٧هـــ/ ١٩١٣ - ١٩١٨م) المؤســـس الحقيقـــي لقلعة الدَّقل ، وذلك عندما تنبه إلى ضعف الجبهة الشمالية الغربية من حاضرة أبها، والتي تتمثل في المنافذ والطرق التي تتخلل السلسلة الجبـــلية الغربية والتي تعد مصدر خطر على المدينة في حالة قيام ثورات على القوات العثمانية التي كان أغلبها متمركزاً في مدينة أبها وخاصة أن الحرب العالمية أصبحت وشـــيكة الوقوع آنذاك[٤٩]. ولذا نجد الوالي محيي الدين باشا يصدر أوامره بتشييد قـــلعة الدَّقـــل في الفترة الواقعة بين (١٣٣٢ - ١٣٣٤)[٥٠] ، على أن تكون قلعة تتوافر فيها كل وسائل الدفاع الممكنة، وما تتطلبه هذه الوسائل من معدات وذخائر ومـــؤن تكفي لفترة زمنية طويلة في حال نشوب ثورات في حاضرة أبها من جهة أو وقوع المدينة تحت الحصار الطويل من جهة ثانية [٥١].

وبقيـــت قـــلعة الدَّقـــل تؤدي مهمتها العسكرية، كأحد التحصينات البارزة في حاضـــرة أبهـــا، أثناء ولاية محيي الدين باشا في منطقة عسير، وبعد مغادرة القوات العثمانية من المنطقة، في العقد الرابع من القرن الهجري الماضي، استمرت هذه القلعة تستخدم ببعض الجنود في عهد الدولة السعودية الحالية، ثم هجرت منذ بداية النصف الثاني في القرن الرابع عشر الهجري، فأصابها الخراب والدمار، ولم يبق منها الآن إلاّ أطلالها المتهدمة[٥٢].

٢ ـ قلعة شمسان :

تقـــع شمســـان إلى الشمال الشرقي من مدينة أبها، وقد شيدت على قمة جبل شمسان[٥٣] الذي يبلغ ارتفاعه حوالي (٢٣٠٠) متراً فوق سطح البحر، وهي تسيطر على الطريق القادم من عقبة شعار شمالاً، حيث يعد الطريق الرئيس الذي يربط مدينة أبها بالمناطق الشمالية. ومن هنا، فإن تشييد القلعة في هذا الموقع له أهميته العسكرية في إغـــلاق الطـــريق أمام أي هجوم يداهم المدينة من ناحية الشمال. ولهذا فقد تنبه الـــوالي التركي محيي الدين باشا إلى أهمية تحصين شمال مدينة أبها، فأصدر أمره ببناء هذه القلعة الحصينة على رأس جبل شمسان. واستمرت تؤدي مهمتها العسكرية حتى غـــادر الأتراك بلاد عسير عام (١٣٣٧هـــ / ١٩١٨م) ثم هجرت فأصابها الخراب وتهدمـــت بعـــض أجـــزائها ، وفي عام (١٣٥٢هـــ/ ١٩٣٣م) احتاجت القوات الســـعودية إلى اســـتخدامها ، وخاصـــة عندما تأزمت العلاقات السعودية اليمنية بسبب مماطلة إمام اليمن في حل مسألة نجران وتثبيت الحدود بين الدولتين السعودية واليمنية[٥٤]، فوضعت فيها حامية عسكرية بعد أن قامت بترميم الأجزاء التي هدمت منها قبل ذلك، وإضافة بعض الوحدات البنائية اللازمة بها[٥٥]، وبقيت مستخدمة لمدة قصيرة تراوحت بين ست وسبع سنوات، ثم هجرت فأصابها الخراب حتى تجدها اليوم على هيئة أبنية مهدمة خربة لا يستفاد منها[٥٦] .

٣ ـ قلعة ذِرَة :

أشار بعض الكتاب، الذين تعرضوا لتاريخ منطقة عسير، إلى قلعة ذرة ، فمنهم من ذكرها باسم " ذِرَة " أي بكسر الذال وفتح الراء ، ثم التاء المربوطة في آخر الكلمة[٥٧] وفريق آخر ذكرها " ذَرا " فاستبدلوا بالتاء المربوطة ألف المد[٥٨] .

وفي الواقع فإن التسمية على الحالين صحيحة، وخاصة عند أهل البادية ، لأن حرف الهاء أقرب المخارج إلى الألف، ولهذا فإن الهاء تشبه الألف في حالة الوقف ، وبالتالي فلا غرابة في ذلك [٥٩].

وعند رجوعنا إلى المعاجم اللغوية الأساسية لنعرف صحة ضبط الكلمة ونطقها لم نستطع العثور على كلمة " ذِرَه " بكسر الذال وفتح الراء ثم هاء ساكنة، وإنما الذي عثرنا عليه هو كلمة " ذَرا " وهذا يؤيد قول الفريق الثاني في الفقرة السابقة، ثم إن ذكر الكلمة بوضع الألف في آخرها مع فتح الذال، يعنى به كون شئ في كنف آخر أو في حمايته، فيقال مثلاً : أنا في ذرا فلان ، أي في ظله، أو كنفه، أو حمايته، أو ستره. وربما هذا المعنى مع ضبط آخر الكلمة بحرف المد يتناسب مع مهمة قلعة " ذِرَة " التي أطلقت عليها هذه التسمية[٦٠] .

وتقع قلعة ذرة إلى الجنوب من مدينة أبها، حيث شيدت في عهد الوالي التركي محيي الدين باشا على قمة جبل ذرة الذي يبلغ ارتفاعه حوالي (٢٤٠٠) متر فوق مستوى سطح البحر ، ويبلغ ارتفاع هذا الجبل فوق مستوى وادي أبها حوالي (١٦٠) متراً . وهذا الارتفاع الشاهق والموقع الاستراتيجي الذي شيدت عليه القلعة ساعد في السيطرة والإشراف على جميع الطرق الواصلة إلى أبها من الجهة الجنوبية الغربية، وخاصة تلك الطرق القادمة من تهامة عبر وادي عتود ثم عقبة ضلع حتى مدينة أبها. كما سيطرت القلعة أيضاً على الطريق القادم من الجهة الجنوبية الشرقية ، والذي يربط بين حاضرة أبها وبلاد شهران وقحطان في الشرق وفي

الجـــنوب الشرقي من مدينة أبها. ثم إن حصانة القلعة وصعوبة ارتقاء جبل ذرة يحول دون ســـقوطها في أيـــدي القـــوات المهاجمـــة، إلا إذا وقعت تحت الحصار الطويل وانقطعت عنها الإمدادات[٦١].

وبقيـــت قلعة ذرة تؤدي مهمتها العسكرية خلال الحكم العثماني ، ومنذ بداية عهد الدولة السعودية الحالية هجرت فأصابها الخراب، ولم يجر عليها أي إصلاح إلا في عـــام ١٤٠٤هـــ/ ١٩٨٤م عندما قامت بلدية أبها ببعض الترميمات البسيطة، وخاصـــة في الجهة الشمالية من القلعة، حيث تم إعادة بناء مدخلها الذي يتكون من كتفين بارزين بعد أن سقط مع مرور الزمن، بالإضافة إلى إعادة بناء النهايات العليا لحوائط الكتلة البنائية التي تقع في أقصى الجهة الشمالية الشرقية من القلعة[٦٢] .

٤ـ قلعـة شعار :

تقع قلعة شعار قرب تقاطع خط عرض (٢٦َ / ١٨ْ) شمالاً وخط طول (٢٧َ / ٤٢ْ) شرقاً، وبالتحديد في منطقة يطلق عليها " باحة شعار " وهي المنطقة التي نسبت فـــيما بعد إلى القلعة ، ويبعد موقع هذه القلعة عن مدينة أبها حوالي (٣٣) كم تجاه الشمال[٦٣] .

وقد شيدت القلعة على مساحة من الأرض شبه مستوية ترتفع عن مستوى البحر حـــوالي (٢٤٠٠ إلى ٢٨٠٠)مـــتر، وتطـــل مـــن الجهـــة الغربية على وادي تيه مباشـــــــرة[٦٤]، أمـــا من الجهات الشرقية والشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية فتحيط بالقلعة مساحة شاسعة من الأرض تخترقها بعض الأودية المنحدرة من التلال الجبـــلية المحيطة بهذه المساحة من الجهتين الجنوبية والجنوبية الشرقية، والتي تتجه نحو الشـــمال الشرقي حيث تتفرع بعد ذلك إلى أودية صغيرة لا تلبث أن تختفي في هذه المساحة من الأرض.

وتكمن أهمية هذا الموقع الحربي في أنه يشرف إشرافاً مباشراً على الطريق المنحدر مـــن عقبة شعار(عقبة تيه) باتجاه وادي تيه في تهامة، حيث يمكن عن طريق القلعة السيطرة على العقبة ، وفي الوقت نفسه حماية طريق المواصلات الذي كانت تسلكه القـــوات العثمانية فيما بين مدينة محائل وعقبة شعار من ناحية، وتهديد القبائل التي تســـكن على ضفاف الوادي في حالة حدوث ثورات ضد قوافل التموين العثماني، وذلك عن طريق إرسال قوات من هذه القلعة لإخمادها من ناحية أخرى[٦٥].

كما أنه يمكن عن طريق القلعة إرسال قوات لتهديد قبائل رجال الحجر في تهامة والسراة[٦٦] ، وذلك عند قيامهم بثورات ضد القوات العثمانيـــــة، حيث إن موقع القلعة يساعد على سرعة تحرك القوات لقطع الطريق أمام الثائرين قبل وصولهم إلى مدينة أبها[٦٧] .

أما تشييد قلعة شعار فقد تم على ثلاث مراحل رئيسة، وتعود أقدم منشآتها إلى عـــام ١٢٨٩هـــ/ ١٨٧٢م، حيث تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن القوات العثمانية تمكنت من ضم منطقة عسير في شهر رمضان عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، ثم اتخـــذت من رأس تيه (شعار) موقعاً شيدت فيه قلعة حصينة حتى يتم عن طريقها حمايـــة خط الاتصال بين مدينة أبها في السراة وبين بلدة محائل في تهامة، وفي الوقت نفســـه يمكـــن عن طريقها تهديد قبائل رجال الحجر في الجهة الشمالية الشرقية من القلعة عند قيامهم بثورات ضد القوات العثمانية[٦٨] .

وظـــلت هذه القلعة قائمة حتى عام ١٢٩٤هـــ/ ١٨٧٦م) ، حيث استمرت تـــؤدي المهمة نفسها التي شيدت من أجلها، وبعد ذلك التاريخ لم يصلنا معلومات تشير بأنها مازالت قائمة ، عدا بعض الإشارات التي توحي لنا بأنها تعرضت لأعمال تخريـــب قام بها أهالـــي عسير السراة لقطع خط التموين عن القوات العثمانية في الســـراة أثـــناء قيام الأمير/ علي بن محمد آل عائض عام ١٣٢١هـــ/ ١٩٠٣م،

ومساعدته من قبل قبائل رجال الحجر ضد العثمانيين وحصار عاصمتهم آنذاك مدينة أبها[٦٩].

أما المرحلة الثانية لبناء قلعة شعار فتعود إلى عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م عندما تنبه القائد سليمان باشا إلى أهمية موقع شعار العسكري ، وأنه لابد من الاستفادة منه في تشييد قلعة حربية يمكن عن طريقها السيطرة على الطرق المارة من عقبة تيه وحمايةالطرق الواصلة إلى مدينتي أبها والقنفذة،وقد تم الاستفادة من مباني القلعة[٧٠] .

وعندما تولى القائد التركي محيي الدين باشا متصرفية لواء عسير عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٣م، لاحظ أن الجهة الشمالية الغربية لقلعة شعار ضعيفة وتحتاج إلى تحصينات حربية قوية تستطيع حامية القلعة عن طريقها كشف مساحات شاسعة من عقبة تيه لصد أية قوة مهاجمة قبل صعودها العقبة ، وواضعاً في اعتباره الخلل الفني في هذه الجهة ، والذي أتاح الفرصة للقوات الإدريسية في عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م أن تصعد من عقبة تيه وتحاصر القلعة دون أن تتمكن القوات العثمانية الموجودة داخلها من اكتشافها[٧١] ، ولذلك أصدر محيي الدين باشا أوامره إلى ذوي الاختصاص بإضافة بعض الاستحكامات الحربية في تلك الجهة، وتشييد ساحة للتدريب في الجهة الجنوبية الشرقية من القلعة[٧٢].

واستمرت قلعة شعار تؤدي مهمتها كأحد المعاقل الحصينة في عهد النفوذ التركي في منطقة عسير، وبعد خروجهم ومجيء الحكومة السعودية الحالية استمر أيضاً استخدامها من قبل الجيوش السعودية ، ولكن لفترة قصيرة ، ثم هجرت فأصابها الخراب وتهدمت أغلب أجزائها حتى لا تجد فيها اليوم إلاّ أطلالاً دارسة[٧٣] .

وإذا ما اطلعنا على المنشآت العسكرية في عهد الدولة السعودية الحالية بمنطقة عسير وحاولنا تفصيل الحديث عنها ، فلن يكفينا عشرات الصفحات كي نستوفي

الشـــرح عـــن كـــل إنجاز عسكري، ولكن نكتفي هنا بالإشارة إلى أهم الإنجازات والمنشآت العسكرية في منطقة عسير ، وخاصة حاضرة أبها .

١ - لقـــد أنشـــئ في مدينة أبها خلال السبعينيات من القرن الماضي مدرسة حربية يـــدرس فيهـــا أبـــناء منطقة عسير بل أبناء جنوب المملكة العربية السعودية، ويدربون فيها التدريبات العسكرية الهامة التي فيها نفع للدين والوطن ، وبقيت تـــلك المدرســـة تؤدي مهمتها في منطقة عسير حوالي عشر سنوات ، ثم نقل مقرها إلى مدينة الطائف . وقد تخرج في تلك المدرسة أعداد من الطلاب الذين تدرجوا في السلك العسكري حتى وصلوا مراتب عسكرية عالية[٧٤].

٢ - مـــنذ الثمانيـــنيات في القرن الهجري الماضي ، صارت الدولة السعودية تعمل جـــاهدة على إنشاء بعض المشاريع العسكرية الكبيرة في منطقة عسير. والمطار العسكري ، شرق مدينة خميس مشيط كان من أعظم تلك الإنجازات. تلا ذلك المديـــنة العســـكرية في منطقة تقع بين مدينة خميس مشيط وأحد رفيدة، وهذه المديـــنة تقع على الطريق الرئيسي الذي يربط بين حاضرة أبها ومدينة نجران . وتعـــد المدينة العسكرية في منطقة عسير من أكبر المدن العسكرية في المملكة، وذلـــك بما تحتوي عليه من طاقات بشرية ومعدات وآلات عسكرية، وكذلك منشآت عمرانية.

٣ - وتتبع كلا من المدينة العسكرية والمطار العسكري العدد الكثير من الوحدات العســـكرية ، وكذلـــك المنشآت والإنجازات العمرانية. وهذا التقدم والتطور الذي يسود هذه القطاعات ليس إلا جزءاً بسيطاً من اهتمامات الدولة بالفرد السعودي في جميع المجالات الحضارية والعمرانية والفكرية وغيرها.

و- مبانٍ أخـــرى :

ومن الأبنية الأخرى في إقليم عسير ، تلك المدرجات الزراعية ، التي نشاهدها في طول وعرض البلاد، وبخاصة في الأجزاء السروية. فلا نكاد نرى مواطن زراعية إلا ويحيط بها من معظم الجهات أسوار مبنية بطريقة جميلة وجيدة. وقد يرجع تاريخ بعـــض تلك الأسوار إلى مئات السنين، وتتفاوت في الارتفاعات ما بين نصف المتر والمـــترين ، وربما بلغ ارتفاع بعضها ثمانية أمتار أو عشرة أمتار. والفوائد التي يمكن استخلاصها من تعمير مثل هذه المدرجات ، هي: أن المنطقة تحكي عن وجود حضارة قديمة ، وعن وجود أقوام أقوياء استطاعوا التكيف والتغلب على ما كان يقابلهم من مشـــاكل طبيعية أو بشرية أو غيرها. كما أن بناء مثل هذه المدرجات يساعد على حفظ تربة المزارع من الضياع والاندثار، إلى جانب الحفاظ على قطعة زراعية بمعالم وحدود معينة تفصلها عن المزارع الأخرى المجاورة لها[٧٥] .

وأســـوار أخـــرى نشاهد بقاياها على بعض الأحمية[٧٦] في رؤوس الجبال وقيعان الأوديـــة وأصحاب الحمى الواحد كانوا يحيطون حماهم بأسوار يبلغ ارتفاعها ما بين المتر والمترين .

وهـــناك أسوار أخرى كانت تبنى لبعض الأسر، أو القرى ، أو العشائر، لتكون معـــالم حدود بين منطقتين [٧٧]والمميز في طبيعة هذه الأسوار، أنها (بسيطة) في بنائها وتشـــكيلها، وغالباً تبنى بالحجارة فقط دون أن يخلط معها الـــتراب أو الطين، على خلاف ما يحدث في بناء المنازل، والحصون ، والمدرجات الزراعية.

ومـــن المعالم الحضارية الأخرى ، حفر الآبار التي يصل عمق بعضها إلى خمسين مـــتراً أوأكثر ، علماً أنه لم يكن لدى الأوائل أجهزة وآلات تساعدهم في الحفر كما نشاهد في وقتنا الحاضر، وإنما أدوات حفرهم كانت (بسيطة) وبدائية في قدرتها وفي طريقة تصنيعها. وعند الانتهاء من حفر أي بئر، يطوي جزؤها العلوي ببناء يكسبها

شـــكلاً جمالياً جيداً ، ويحفظها من الأوساخ والأتربة والحجارة التي قد تتساقط من أطرافها العلوية .

ومـــن خـــلال جولاتي الميدانية في أجزاء عديدة من بلاد عسير ، شاهدت بعض القـــبور المبنية فوق سطح الأرض، والتي يصل ارتفاع بعضها إلى ثلاثة وأربعة أمتار تقريـــباً. واكـــثر ما رأيت هذا النوع من القبور في بعض الأجزاء الشرقية من بلاد قحطـــان وشهران، وفي وادي عياء. ووادي ترج، ومنطقة الحدب من بلاد بللحمر وبـــني شـــهر وبني عمرو . والملاحظ على تلك القبور جمال بنائها ، وأحياناً نقشها بـــالجص أو حجر المرو، وإلى جانب هذه القبور السطحية هناك قبور أخرى مدفونة تحت الأرض. والكثير منها – (المدفونة والسطحية) – على غير اتجاه القبلة ، كما شـــاهدنا عـــلى القبور الواقعة في وادي عياء ببلاد بللحمر ، ووادي ترج ببلاد بني شـــهر العدد الكثير من تلك القبور، والشئ الغريب أني لم أجد في المصادر التاريخية المبكرة أي إشارة لمثل هذا النوع من القبورفي بلاد السراة .

كمـــا حـــاولت أن أعرف تاريخا لها من بعض المسنين في تلك المناطق ، فلم أجد إجابة شافية أستطيع الاعتماد عليها، علما بأن البعض منهم ، يعتقد وبدون دليل، أنه حدثـــت هناك حروب دامية اقتتل فيها أعداد كثيرة من الناس، ثم تم دفن من مات مـــنهم في تلك الأماكن. ولكن لو سلمنا جدلا بهذا القول ، فما هي الأسباب التي جعلـــتهم يتقاتـــلون ، وفي أي زمن كان قتالهم، ومن أولئك المتقاتلون ؟ ولو وجدنا إجابـــة لهذه الأسئلة لربما صدقنا هذه الرواية ، ولو اعتقدنا بصحة هذا القول مثلاً ، حتى ولو لم نجد إجابة للأسئلة السابقة، فمتى حصل الوقت الكافي لمن بقي حياً فيشيد مـــثل تلك القبور السطحية ، ثم يطلي بعضها بالجص، أو ينقشها بالمرو الأبيض حتى تصبح في شكل معماري جميل[٧٨]

والشيء الذي لا أستطيع الجزم به ، هل من الممكن أن مثل هذا النوع من القبور بُني قبل ظهور الإسلام ؟ بدليل أن بعضها لم يكن على اتجاه القبلة . وهذا أمر محتمل الخطأ والصواب، علما بأن أقسام الآثار في المملكة العربية السعودية تستطيع تحديد تاريخ مثل هذه المقابر، وخاصة أنه لازال في بعض القبور السطحية الكثير من رفات الموتى، والتي عن طريقها يمكن تحديد تاريخها. وإن قلنا إن تاريخها ربما كان في العهود الإسلامية فهذا قول يحتمل الخطأ والصواب أيضا، لأن بناءها أو حفرها على غير جهة القبلة ليس دليلاً قاطعاً ، فلربما من بناها ودفن الموتى كان جاهلاً بدفن المسلم ، فلم يكن يفكر في وضعه على اتجاه القبلة، ولم يفكر أيضاً في عدم شرعية بناء القبور فوق سطح الأرض، أو في حرمة نقشها وتزيينها. ومن المحتمل أن بناء وتشييد مثل هذه القبور حدث في القرون الإسلامية المتأخرة الماضية، وخاصة إذا علمنا ما ساد أجزاء عديدة في العالم الإسلامي ، من الفوضى والتخلف والجهل بأمور الدين الإسلامي.

الحواشي والتعليقات

١- ولـلمزيد مـن التفصـيلات انظر مؤلفاتنا الآتية : عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجـتماعية والاقتصادية (١١٠٠- ١٤٠٠هـ/ ١٦٨٨ - ١٩٨٠م) (جدة : مطـابع الـبلاد ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، وكتاب أبها حاضرة عسير:- دراسة وثائقيـة. (الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) وكتاب عسير في عصر الملك عبد العزيز (جدة : دار البلاد، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) .

٢- أصل وصورة هذا الخطاب ضمن الرسائل والخطابات المرسلة إلينا ، وتاريـخ ١٣/ ١١/١٤٢٠هـ ، وتوجد من مكتبتنا الخاصة .

٣- مـع الـتطور الحضاري الذي تعيشه البلاد العسيرية في الوقت الحاضر ،زاد تفرق وسـفر الكـثير من أفراد الأسرة الواحدة ، وتوسع الناس في مساكنهم . وبالتالي ضعفت الروابط بين أفراد الأسرة ، ولم يبق لكبير العائلة إلا الاسم ، أما النفوذ الذي كان يمارسه الأوائل على أفراد أسرهم ، فلم يعد كما كان .

٤- وهناك العديد من المراكز الحضارية في إقليم عسير، وبعضها يقع على ساحل البحر، وبعـض آخـر يقع إلى الداخل في الأجزاء التهامية أو السروية، ومن تلك المراكز القـنفذة ، حلي، القحمة ، البرك ، صبيا ،جازان ، محائل، رجال ألمع، أبها ، خميس مشـيط، سـراة عبيدة ، بيشة ، الباحة، باشوت، النماص، سبت العلاية، ظهران الجنوب.

٥- مشاهدات وانطباعات الباحث في بلاد عسير خلال عامي ١٤١٢/١٤١٣هـ .

٦- انظر: رحلة تاميزيه إلى الجزيرة العربية، ترجمة يوسف شلحد. مجلة العرب، جـ٩ - ١٠ (س٢٤، الربيعان، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ص ٦٦٢.

٧- المصدر نفسه، ص ٦٦٢ - ٦٧١ .

٨- Sir Kinahan cornwalls. Asir Before World War. 1. Ahandbook (New York,1976) PP. 32ff.

٩- المصدر نفسه P. 45.

١٠- المصدر نفسه P.49.

١١- المصدر نفسه P. 60.

١٢- المصدر نفسه PP.60-61.

١٣- المصدر نفسه PP.75-76.

١٤- المصدر نفسه PP. 75-76.، وللمزيد من التفصيلات والمعلومات عن بعض القرى في عسير ، وعدد سكان بعض الأجزاء ، انظر كتاب هذا الرحالة الإنجليزي S.K. Cornwalls, PP.32-78 .

١٥- سليمان شفيق باشا كان متصرف عسير من عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨- ١٣٣١ هـ/١٩١٢م) وقائد حامية أبها. وقد حاصر الإدريسي أبها ، وكاد يستولى عليها أثناء متصرفيته. وبعد أن انتهي من عسير انتقل إلى سوريا ، ثم أصبح والي البصرة . وقائد الفيلق العثماني فيها عام (١٣٣٢هـ/١٩١٣م).وأخيرا تسلم وزارة الحربية . انظر: مذكرات سليمان شفيق باشا، جمع وتحقيق، محمد بن أحمد العقيلي (أبها : النادي الأدبي ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م) ، عبد الله سالم القحطاني، موجز تاريخ وأحوال منطقة عسير ، ١٢١٥ - ١٣٤١هـ (الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

١٦- القحطاني ، موجز ، ص ١١٤ .

١٧- المرجع نفسه، ص ١٤٦، انظر أيضا، العارف ، أضواء ، ٦١ - ٦٢.

١٨- القحطاني ، موجز ، ص ٢٦٣ (نقلا عن مذكرات سليمان شفيق باشا).

١٩- شرف عبد المحسن البركاتي، الرحلة اليمانية (بيروت:المكتب الإسلامي،١٣٨٤هـ)، ص ٧٨ ومن خلال حديثه عن القرى في بلاد بارق نلاحظ إعجابه بالبيوت وحسن شكلها .

٢٠- البركاتي، الرحلة ، ص ٤٦.

٢١- المرجع نفسه ، ص ١٣٢.

٢٢- انظر : الألمعي، رحلات في عسير، ص ٦٦، ٧٧-٨٣.

٢٣- المرجع نفسه، ص ١٠٦ -١٠٧، انظر: ابن جريس. بلاد بني شهر وبني عمرو، ص ٧٥-٧٧. وقد شاهد الباحث خلال عامي (١٤١٩ - ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) العديد من القصور والبيوت القديمة والخاصة ببعض مشائخ منطقة عسير الممتدة من ظهران الجنوب إلى بلاد غامد فوجدها لا تقل في قوتها واحجامها عن ما ذكر الألمعي في كتابه " رحلات في عسير " .

٢٤- ويلاحظ أن القرى في إقليم عسير كثيرة جداً ، وخاصة إذا ما قورنت بأجزاء أخرى من المملكة العربية السعودية. وقد أجريت دراسات حديثة على عدد قرى وهجر عسير في عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٢م) فوجد أنها تبلغ حوالي (٢٩٦٣). وهي موزعة على الشكل التالي (٢٤٢٨) قرية وهجرة ، أي (٨٢%) و (٤٨١) قرية وهجرة متوسطة الحجم، أي (١٦%) . و (٥٤) قرية كبيرة الحجم، أي (٢%). وبعض تلك الدراسات رأت أن كثرة عدد قرى منطقة عسير أدى إلى انخفاض متوسط عدد سكانها، وبخاصة إذا ما قورنت مع متوسط عدد سكان قرى المملكة . للمزيد من التفصيلات،انظر: وزارة الشؤون البلدية والقروية عام (١٩٨٤م) المسح الاقتصادي والاجتماعي الشامل لقرى وهجر المملكة، التقرير الثاني ، منطقة عسير مكتب العسيلان الاستشاري .

Othman Al.Rawaf. Policies and Programs of Rural Development in Saudi Arabia: A: Presentation and Evaluation, Research Center, College of Administration Sciences, King Saud Univ. Ryadh. (1987).

٢٥- قد أشار إلى ذلك عدد من الباحثين،أمثال: تاميزيه، ص٦٦٢-٦٧١، البركاتي، الرحلة، ٤٦، ١٣٢،الألمعي،رحلات، ص٥٢ - ٥٣، ٦٦ ، ١٠٦-١٠٧، القحطاني نقلا من مذكرات سليمان شفيق باشا، ص١٠٠،١١٣-١١٤،١١٥ ، ١٤٦، ١٥٣ .Conrnwalls , Asir, PP. 32-78 .

٢٦- مشاهدات الباحث وانطباعاته خلال عامي (١٤١٢هـ /١٤١٣هـ).

٢٧- مشـــاهدات وانطباعات الباحث في بلاد عسير خلال عامـــــــي (١٤١٢هـــ/ ١٤١٣هـــ) ، أيضـــا تاميزيه ذكر ذلك أثناء مجيئه إلى ديار عسير في أوائل القرن الثالث عشر الهجري. وأشار إلى أن المباني في أبها، وحجلا، وخميس مشيط تتكون من طـــابق، وبعضـــها من طابقين. الأول للحيوانات والثاني للسكن ، ثم يقول : "**وهي مبنية بالحجر في أسفلها ثم الطين** .." انظر مقالة تاميزيه بمجلة العرب، ص٦٦٢ - ٦٧١.

٢٨- استخدمنا كلمة قرية بدلاً من المدينة. وبخاصة على المراكز العمرانية الكبيرة، لأنها لم تكن ترتقي إلى مستوى المدن خصوصاً في القرون السابقة .

٢٩- يلاحظ في وقتنا الحاضر ، الاختلاف في البناء ، فنجد تكاثر المباني الشاهقة الجميلة في المدينة وما حولها ، وكلما ابتعدنا عن المدن إلى الأرياف والبوادي لاحظنا التقهقر في طول المنازل، وفي جمال جودة مواد البناء المستخدمة .

٣٠- اســـتطعنا الاطـــلاع على وثائق عديدة في أجزاء مختلفة من بلاد عسير، وكذلك في مـــنطقة نجـــران وجازان والباحة والطائف وأغلبها تبين أسماء ومعالم بعض العقارات والأملاك الزراعية والسكنية لعديد من الأسر التي ورثتها عن طريق الآباء والأجداد الأوائل. أو حصلوا عليها عن طريق الشراء، أو الهدية وما شابهها.

٣١- تقارب السكان في مساكنهم من الأمور الأساسية ، ليتأزروا ويتعاونوا فيما بينهم، وليقفـــوا في وجـــه ما يداهمهم من أخطار بشرية أو طبيعية. وتزاحم منازل القرية القديمة في جنوبي البلاد السعودية، والتي لازلنا نشاهد الكثير منها، دليل واضح على حرص أفراد القرية في التقارب والتآزر والتعاون في جميع شؤون حياتهم .

٣٢- كان هناك فئة من المختصين في مهنة البناء يعملون بالأجر اليومي، وقد يعمل معهم بعـــض المساعدين بالأجرة أيضاً، وكان هناك من يقوم بمهنة البناء عن طريق التعاون بـــدون مقـــابل، وبخاصـــة بين أفراد الأسرة أو القرية أو العشيرة الواحدة، أوبين الأصدقاء بعضهم مع بعض .

٣٣- وغالبا تقلب الجيم إلى ياء فيقال: (ييز بدلاً من جيز) وهذا التحريف يوجد بكثرة عند بعض العشائر العسيرية ، ولا زال إلى يومنا هذا . ودراسة التاريخ اللغوي لسكان المنطقة موضوع جيد وجدير بالدراسة، وحبذا لو تصدى لهذا الموضوع أحد طلاب العلم سواء كان من أبناء المنطقة أو من غيرهم من فئة الدارسين والباحثين .

٣٤- في الوقت الحاضر توفر- بحمد الله - المال في أيدي الناس، وتحسنت أحوالهم. فبنوا مساكن حديثة راعوا فيها توفير وسائل الراحة لمن يسكنها، وأصبح هناك العديد من الأجهزة الحديثة المستخدمة في توفير الدفء أو التبريد، أو رفع المياه من الآبار والصهاريج ، أو الغسيل والتنظيف، أو الإضاءة أو غيرها من الخدمات المتعددة الجوانب.

٣٥- ابن المجاور . تاريخ المستبصر، ص ٢١، ٣٧.

٣٦- وجود الحصون في الأجزاء التهامية والنجدية الشرقية من إقليم عسير قليل جداً، بل يكاد يكون معدوماً في كثير من المواقع. أما القصور فيوجد بعضها في المراكز الحضارية الكبرى، كالقنفذة، وأبو عريش ، وصبيا، وبيشة ، وسراة عبيدة ، والنماص ، وأبها، وخميس مشيط ، وغيرها .

٣٧- انظر: عبد المنعم عبد العزيز رسلان، " بعض استحكامات منطقة عسير الحربية في العهد العثماني"، مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي بجامعة أم القرى [س(٥) عدد(٥)، ١٤٢٠هـ /١٩٨٢م] ص ٣٧٩- ٤٢٨.

٣٨- هناك العديد من الرحالة الذين أشاروا إلى وجود بعض القصور في المراكز الكبرى بإقليم عسير، أمثال: تاميزيه، والبركاتي، وكورنواليس، وسليمان شفيق باشا، وإبراهيم الألمعي، وسبق الإشارة إلى كتبهم التي وصلت إلينا ، وللمزيد ، انظر تفصيلات أكثر في المبحث الرابع من هذا الكتاب .

٣٩- الأمير/ علي بن مجثل العسيري، تولى إمارة عسير بعد الأمير/ سعيد بن مسلط المغيدي عام (١٢٤٢هـ/ ١٨١٦م) وقد عرف بنصرته للإسلام وخدمته له، وتوفي عام (١٢٤٩هـ_ ١٨٣٣م)، وخلفه في الإمارة عائض بن مرعي. للمزيد من

المعلومات، انظر:علي أحمد عسيري.عسير من ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م -١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م) ، (منشورات نادي أبها الأدبي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ص ١٨٨ وما بعدها، غيثان بن علي بن جريس، بلاد بني شهر وبني عمرو . ص ٥١ وما بعدها.

٤٠- هاشم النعمي . تاريخ عسير، ص ٩ - ١٠ .

٤١- كلمة (الطبجية) من مخلفات الأتراك في منطقة عسير، فكلمة طبجي : تعني مدفعي، ويذكر أن منسوبي المدفعية، في عهد النفوذ التركي في عسير (١٢٨٩-١٣٣٧هـ) كانوا يتخذون حي العزيزية المعروف في وقتنا الحالي مكاناً لهم ، وبالتالي صار يطلق على ذلك المكان (الطبجية) ، ويعنى بذلك مكان المدفعية التركية آنذاك، وربما نسبة إلى طابية والطابية : هي المكان المرتفع المشرف على عدة اتجاهات تنصب عليه المدافع لتتحكم في مدى الرؤية للتصويب الجيد، والطبجي هو اسم الشخص الذي يقيم في الطابية. وهي كلمة تركية. مذكرة وصلتنا من الأستاذ / يحيى بن حسن بن مستور وتوجد ضمن أوراق الباحث تحت رقم (٢٠/٢٠٦٩).

٤٢- المصدر نفسه .

٤٣- إن اهتمام الوالي التركي / محيي الدين باشا بالتحصينات في منطقة عسير، وخاصة مدينة أبها، يعود لسببين رئيسيين هما :-

أ - كان يعلم أن الحرب العالمية قد اندلعت ، ولابد أن تتعرض الدولة التركية للانهيار بعد أن أعلن أمير مكة الشريف الحسين بن علي الثورة ضدها باسم العرب .

ب- كان الإدريسي في تهامة له أهداف سياسية توسعية في ضم عسير السراة إلى حكمه؛ ولهذا جعل محيي الدين باشا يكرس جهوده في بناء القلاع والحصون المحيطة بأبها، إلى جانب خوفه أيضاً من القبائل الموجودة في منطقة عسير والتي كان أغلبها غير راغب في حكم الأتراك بالمنطقة.

٤٤- للمزيد من التفصيلات انظر: عبد المنعم عبد العزيز رسلان. " بعض استحكامات منطقة عسير الحربية في العهد العثماني" مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي (مكة

المكـــرمة ، جامعـــة أم القرى ، ١٤٠٢هـــ/ ١٩٨٢م)سنة (٥)عـــدد (٥) ، ص ٣٨٩ – ٤٢٨ .

٤٥- للمزيد من المعلومات انظر: دراسة علمية جيدة تحت عنوان : (تحصينات أبها خلال القـــرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين – دراسة حضارية). رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ والحضارة، إعداد/ محفوظ بن سعيد بن مسفر الزهراني – جامعـــة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – كلية العلوم الاجتماعية – قسم التاريخ والحضارة (١٤٠٩هـــ / ١٩٨٩م). هذه الدراسة جيدة في تحليلها ومحتوياتها، حيث ناقش صاحبها العوامل التي أثرت في نشأة التحصينات الحربية لمدينة أبها، كما تعرض لـــلحديث عن كثير من المنشآت العسكرية في المنطقة، وخاصة القلاع المشهورة في حاضرة أبها. (ويوجد نسخة مصورة من هذه الرسالة ضمن مكتبة الباحث في أبها).

٤٦- بعـــد الرجوع إلى بعض المعاجم اللغوية وجدنا أن كلمة (الدقل) تعني الارتفاع أو الانتصاب أو القوة والمنعة، وربما أطلق هذا الاسم على هذه القلعة لارتفاعها ومنعة مكانها. انظر : ابن منظور، لسان العرب كلمة (الدقل)، (طبعة بيروت)، مج ١١، ص ٢٤٦، وانظر الكلمة نفسها في معجم القاموس المحيط (طبعة بيروت)، ص١٣٧.

٤٧- ينـــبع وادي أبها من الجبال الغربية المطلة على مدينة أبها، ويمتد بشكل متعرج باتجاه الشـــرق حتى يصب في وادي ابن هشبل، ومنه يتجه إلى وادي بيشة، ويقع الوادي عـــلى ارتفاع (٢٢٠٠) متر فوق مستوى سطح البحر، ويعد وادي أبها النقطة التي يمكـــن مـــنها قيـــاس ارتفاع الجبال المحيطة بالمدينة. انظر: رسالة محفوظ بن سعيد الزهـــراني: تحصـــينات أبها ، ص ٧٥ ملاحظة (٢). وانظر: كتاب هاشم النعمي . تاريخ عسير ، ص ٩ ، وللباحث جولات عديدة قام بها في مدينة أبها وما حولها من الجـــبال والأودية، وخاصة وادي أبها الرئيسي، والمذكور في السطور الآنفة الذكر. أيضاً انظر كتابنا : "أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية)، ص ١٤ وما بعدها .

٤٨- للمزيد من التفصيلات عن التحصينات في أبها ، انظر: رسالة محفوظ الزهراني ، ص ٧٥، ٦٠، مذكرات سليمان شفيق باشا (جمع محمد العقيلي، ص ١٢، عبد الفتاح

أبـــو عليه . دراسة حول المخطوط التركي (حجاز سيحتنامة سي). (الرياض: دار المريخ للنشر، د.ت). ص ١٤ - ١٧.

٤٩- عبد الله بن علي بن مسفر. أخبار عسير. (بيروت : المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ)، ص ١٥٣، ١٦٤، هاشم النعمي . تاريخ عسير، ص ٩ ، ٣٨.

٥٠- للمزيد من التفصيلات انظر: الرسالة غير المنشورة تحصينات أبها ، محفوظ بن سعيد الزهـــراني، ص ٧٨وما بعدها، والسبب الذي جعلنا نحدد هذا التاريخ هو أن تلك الفـــترة من أحرج الفترات التي مرت على القوات العثمانية في منطقة عسير، والتي أصـــبح أكـــثرها مـــتمركزاً بين القنفذة وبلدة محائل لتأمين طريق الاتصال بين أبها والقنفذة عن طريق عقبة شعار، وذلك بعد انسحاب تلك القوات من قمامة عسير إلى السراة، نتيجة لسيطرة قوات السيد محمد الإدريسي على قمامة عسير ابتداء من بلدة البرك شمالاً حتى مدينة جازان جنوباً، والتي تمت بمساعدة الأسطول الإيطالي أولاً في سنة (١٣٣٠هـــ/ ١٩١٢م)، ثم بمساعدة الأسطول البريطاني بعد ذلك في سنـــــة (١٣٣٣هـــ/ ١٩١٥م) ، وللمزيد من التفصيلات انظر: جون بالدري. العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركي (١٩١٤-١٩١٨م) . ترجمة السيد مصطفى سالم (القاهرة: المطبعة الفنية، د.ت) ص ١٠٧، جاد طه. سياسة بريطانيا في جـــنوب الجزيـــرة العربية (القاهرة ، دار الفكر العربي ، د.ت)، ص ٣٣٥، مجلة المنار، صاحب الإمضاء ، السيد الإدريسي والحكومة العثمانيـــــة مج ١٦، جـــ٦ (٣٠ جمادي الآخرة ١٣٣١هـــ/ ٥ يونيو ١٩١٣م) ، ص ٤٦٧.

٥١- المصادر نفسها .

٥٢- وقـــد ذكـــر محفوظ الزهراني تفصيلات جيدة في رسالته تحصينات أبها ، وضح فيها وصـــف المكان ومواد البناء لقلعة الدقّل ، وللمزيد انظر هذه الرسالة، ص ٨٣ وما بعدها.

٥٣- جاءت كلمة شمسان في معجم البلدان على أنها تثنية الشمس المشرقة، ووردت أيضاً عـــلى أنها حصن من حصون صداء، من أعمال صنعاء باليمن. ولعل هذه التسمية

وصـــلت إلى مدينة أبها مع القوات العثمانية عندما جاءت إلى شبه الجزيرة العربية، ومـــن ثم اشـــتهرت بها القلعة والجبل والحي المعروف في حاضرة أبها حالياً. انظر: ياقوت الحموي . معجم البلدان (بيروت : دار صادر، ١٣٩٧هـــ)، ص ٣٦٢.

٥٤- لـــلمزيد من التفصيلات عن تأزم تلك العلاقات، انظر محمود كامل المحامي. اليمن شمالـــه وجنوبه (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٨م) ، ص ٢٥٥، أمين سعيد. تاريخ الدولة السعودية (بيروت: دار الكاتب العربي، ١٩٦٤م) ، ص ٣٦٨ - ٣٧٧.

٥٥- للمزيد من التفصيلات عن القلعة وعن طريقة تخطيطها ومواد البناء ، انظر: الدراسة الـــتي قـــام بها، محفوظ الزهراني تحصينات أبها، ص ١١١ وما بعدها، وانظر: دائرة المعـــارف الإســـلامية "**مـادة أبها** " هـــ .ج. مويلر. مج ١ (القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ١٩٦٩م). ص ٤١٨.

٥٦- زيارة الباحث لمكان قلعة شمسان في ١٤١٦/٧/١٢هـــ ، ومشاهدته لأجزاء مبانيها، والمواد المستخدمة في البناء، وطريقة تخطيطها.

٥٧- الكُتاب الذين قالوا بالرأي الأول هم : هاشم النعمي . تاريخ عسير، ص ٩ ، فؤاد حمزة. في بلاد عسير، ص ١١٠ ، محمد عمر رفيع . في ربوع عسير. ص ٤٩، مويلر " أبها " دائرة المعارف الإسلامية، مج ١، ص ٤١٨-٤١٩.

٥٨- أمـــا الذين قالوا بالرأي الثاني فهم : عبد الله بن علي بن مسفر. أخبار عسير، ص ١٥٣، محمود شاكر . عسير ، ص ٢٦٢.

٥٩- لـــلمزيد مـــن التفصيلات عن اللهجات ومخارج الحروف، انظر: صالحة راشد آل غنيم. اللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتا وبنية. (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٥هـــ)، ص ٣٥٠- ٣٥١.

٦٠- السبب في استخدامنا كلمة " ذِرَة " بدلاً من " ذَرا " لأن غالبية السكان في منطقـــة عســـــير لا يعـــرفونها ، ولا يعـــرفون الجبل الذي تقع عليه القلعة إلا بوضع الهاء الساكنة في آخر الكلمة " ذِرَه " وللمزيد من الاطلاع في بعض المعاجم اللغوية انظر:

ابـــن منظور، لسان العرب (طبعة بيروت ، ١٤٠٨/ ١٩٨٨م) جـــ٥، ص ٤٠ – ٤١ ، إسماعيل بن حماد الجوهري. تاج اللغة وصحاح العربية (بيروت : دار الملايين ١٩٧٩م) ، ص ٢٣٤٥.

٦١- انظر : رسالة محفوظ الزهراني، تحصينات أبها ، ص ١٣٨ وما بعدها.

٦٢- ولـــلمزيد مـــن التفصيلات عن مخطط القلعة، وطريقة مواد بنائها، انظر . الزهراني تحصـــينات أبها . ص ١٣٩ وما بعدها. وفي يومنا الحاضر هدمت قلعة ذره وأسس مكانها بعض المطاعم الجيدة ومركز للعربات المعلقة التي تستخدم بالزوار والسواح الذين يزورون منطقة عسير طوال العام .

٦٣- المصدر نفسه، ص ١٦٥ وما بعدها.

٦٤- ينســـب الوادي إلى عقبة تيه ، والتي يبدأ منها انحدار الوادي إلى تهامة، حيث يتجه مجراه عبر تهامة نحو الشمال الغربي حتى يصب في وادي حلي في الشمال الغربي من مدينة محائل. ترفد هذا الودي عدة روافد من أهمها : واديا طبب والرجم من الجهة الجـــنوبية ، وأودية بعرور ونخلين وهبهبة من الجهة الشمالية، وتقع مدينة محائل على الضفة الشمالية للوادي. للمزيد من التفصيلات، انظر: فؤاد حمزة . في بلاد عسير، ص ٩٣. هاشم النعمي. تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص ١١ وما بعدها، غيثان بن علي بن جريس: " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني"، مجلة الدارة (١٤١٤هـــ) ، (العدد (٣) سنة (١٩) ، ص ٧٦ وما بعدها.

٦٥- انظـــر: محفوظ الزهراني تحصينات أبها، ص ١٦٦ ، وقد حصل على هذه المعلومات من أرشيف رئاسة الوزراء باستنبول ، وثيقة رقم (٦٠٨٣٦) لفة (٢).

٦٦- تقـــع بلاد رجال الحجر بين قبائل بلقرن وشمران وخثعم من الشمال وقبائل عسير الرئيســـة (مغيد ، وبني مالك ، وعلكم ، وربيعة ورفيدة) من الجنوب وتتكون بلاد رجـــال الحجـــر مـــن أربع قبائل رئيسة هي : (بني شهر، وبني عمرو، وبللسمر، وبللحمر). للمزيد من التفصيلات . انظر: غيثان بن علي بن جريس. بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، ص ١٠ وما بعدها.

٦٧- وللمزيد من التفصلات عن أهمية عقبة شعار، انظر: شرف بن عبد المحسن البركاتي ، الرحلة اليمانية ، ص ٧١- ٧٣ . مذكرات سليمان شفيق باشا(جمع محمد العقيلي)، ص ٦٩، ١٢٩، هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص ٢٧، ١٦١.

٦٨- انظر دراسة محفوظ الزهراني . تحصينات أبها ، ص ١٦٨، وقد حصل على هذه المعلومات من أرشيف رئاسة مجلس الوزراء باستنبول ، وثيقة رقم (١٢٢) .

٦٩- أرشيف رئاسة مجلس الوزراء باستنبول، قلم أوراق الباب العالي، دفتر الصادر والوارد رقم (٢٦٧) ، ص ١٣-١٤، وللمزيد انظر: مذكرات سليمان شفيق باشا (جمع العقيلي) ، ص ١٢، ٢٨ ،١٢٩.

٧٠- المصدر نفسه ، ص ١٢٨ - ١٢٩.

٧١- المصدر نفسه، ص ٦٩ وما بعدها، وللمزيد من التفصيلات عن الإدريسي ومحاربته لأهل عسير ، انظر:عبد المنعم الجميعي . الأدارسة في المخلاف السليماني وعسير (١٣٢٦-١٣٤٩هـ/ ١٩٠٨م-١٩٣٠م)، (خميس مشيط : دار جرش للنشر، ١٩٨٧م)، ص٥ وما بعدها.

٧٢- المصادر نفسها .

٧٣- زيارة الباحث لموقع القلعة في شهر محرم من عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

٧٤- للمزيد من التفصيلات عن تلك المدرسة الحربية ، انظر: غيثان بن علي بن جريس . تاريخ / التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ) ، الجزء الأول. ص ١٨٦ - ١٨٧.

٧٥- نلاحظ الفارق الكبير في عصرنا الحاضر، وما تشهده البلاد من تطور عمراني حديث. والوضع المادي، وأحيانا المركز الاجتماعي لازال لهما الدور الأكبر في فخامة وجمال بيوت من يمتلك الأموال الكثيرة ، أو يشغل مركزاً اجتماعياً كبيراً في المجتمع .

٧٦- أحمية ومفردها (حمى). وهي المواقع التي تحميها بعض الأسر، أو الأفخاذ.أو العشائر. من أجل استخدامها للرعي وقت الجدب وعدم نزول الغيث. وفي المصادر

الإسلامية المبكرة نجد الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين حموا بعض المواقع القريبة من المدينة المنورة. لكي ترعي فيها خيول ومواشي المسلمين . وإلى وقت قريب كان العديد من العشائر والبطون العسيرية تسعى إلى حماية بعض مواطنها، أما في الوقت الحاضر فصارت هذه الظاهرة قليلة. وربما أصبحت معدومة عند الكثير من سكان الإقليم .

٧٧- لدى الباحث العديد من الوثائق والاتفاقات المحلية التي تؤكد أسماء وأماكن معالم وحدود بين أسرتين أو عشيرتين، أو مجموعة من الأسر أو العشائر في أنحاء إقليم عسير .

٧٨- مشاهدات وانطباعات الباحث في صيف عام (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) أيضا انظر: ابن جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو، ص ١٤٨ - ١٥٢.